

أوراق من فكر الشاعر

الشيخ رضا الطالباني

(١٨٣٥ — ١٩١٠) م

ترجمة وتقديم

عثمان المفتي

طبعة ثالثة مزيدة ومنقحة

أربيل — ٢٠١٢م

أوراق من فكر الشاعر

الشيخ رضا الطالباني

١٨٣٥ — ١٩١٠م

ترجمة وتقديم

عثمان المفتي

طبعة ثالثة مزيدة و منقحة

ربيل ______________________ ٢٠١٢م

اسم الكتاب: أوراق من فكر الشاعر الشيخ رضا الطالباني

(١٨٣٥-١٩١٠)م

المؤلف: عثمان المفتي

تقديم: الدكتور عبدالله محمد الحداد/ جامعة صلاح الدين

تصميم: إخلاص قادر عبدالله

تنضيد: هاشم صادق رشيد

الطبعة: طبعة ثالثة مزيدة و منقحة / لسنة ٢٠١٢

عدد النسخ : (٥٠٠) نسخة

الطبع : مطبعة منارة – أربيل (٠٧٥٠٤٤٥٦٢٩٧)

رقم الإيداع في المديرية العامة للمكتبات العامة (٤٢٨) لسنة (٢٠٠٦)

قصيدة فارسية

للشاعر الكبير الشيخ رضا الطالباني

مـــدخل:

✱ منذ أيام الصبا بهرني إشعاع عبقرية الشاعر الكوردي الكبير الشيخ رضا الطالباني (١٨٣٥-١٩١٠)م حيث يضرب كالبرق في آفاق الفكر ليخلق عوالم ملونة ويضيف روضة من روائع الشعر في دنيا الآداب.

✱ ومع تراكم الخبرة الأدبية والعلمية واللغوية وتطور وعي الإدراك للجمال حيثما كان إزاء التذوق الفني والجمالي... إزداد الإدراك والوعي والتقييم الصحيح أو الأقرب إلى الصحيح لكل نتاج أدبي أو فني.

✱ وكان رأيي دائماً هو أن لا يكتب عن الشاعر إلا شاعر وكم وجدت في شروح ديوان المتنبي وإبن الفارض والمعري جهلاً بما كان يقصده الشاعر... وجفوة أفقدت الأشعار الموضوعية والجمالية. وأن لا يتم تداول بيت شعر كلمة كلمة ليسير الشارح في طريق الاعراب ومتاهات تخرج القصيدة عن اتجاهها الأساس.

✱ ان الشرح الأكاديمي لقصائد الشعراء يكون ناقصاً وغير مفيد... فقد قرأت ضمن ما قرأت شروح ديوان حافظ الشيرازي ومولانا جلال الدين الرومي وعمر الخيام فوجدتها تخرج عن التذوق الشعري الصحيح وتجرد القصيدة من روحها النابض... وتجعلها ميتة ملقاة على الأرض.

✱ وكيف يمكنهم الكتابة مثلاً عن صوت الشيخ محمد رفعت الذي يزلزل الوجدان ويهز النفس ويجعل فيها الخشوع والجلال... فلا يستطيع كاتب أن يكتب عنه ما لم يصب بزلزال وخشوع وجلال... وايمان عميق بفيض الروح والمعنى... فمن توفرت فيه كل تلك الامور فليكتب عنه... وإلا فليحجم. وقد كتبت هذه الدراسة الأولية عن قصيدة فارسية للشاعر اكتشفت مؤخراً ولم يسبق ان نشرت في دواوينه إلا مؤخراً. واحتفظت بها مخطوطة ضمن العشرات من مؤلفاتي التي توالت عبر عقود من الزمن.

✱ وقبل مدة زارت الدكتورة كوردستان موكرياني رئيسة المجمع العلمي الكوردستاني مكتبتنا وديواننا واطلعتها على هذه الدراسة، فاستحسنتها، وتم الاتفاق على طبعها في المجمع وقد طبعتها فعلاً واعادتها الي على قرص (CD).

✱ ولا يسعني في هذا المجال إلا أن اسجل شكري لها وللمجمع فقد أتاحت لي أن أضع هذا الجهد المتواضع بين أيدي القراء الأعزة.

✸ وصادف أن زارني رفيق الصبا والشباب والفكر والآداب الدكتور عبدالله حداد[1] الذي كانت رسالته لنيل دبلوم الميتريز العالي عام ١٩٨٤م من جامعة السوربون في باريس عن الشيخ رضا الطالباني ولنا معاً وشائج أسرية وفكرية وبحوث وجلسات ونقاشات عبر أربعة عقود... ونحن نطور مفاهيمنا عن الفكر والأدب الشرقي والعالمي والتصوف الإسلامي وأفكار الفلاسفة الأقدمين والمعاصرين... فكان أن أخذ الدراسة معه وكتب مشكوراً مقدمة مستفيضة مما اكسب الدراسة بعداً آخر، ونثر عليها من ورود فكره الشفاف الملون البريء الملتصق بعبق تراب وطنه وتراثه.

فإلى ذوي العقول المحلقة في سماء الإيمان والفكر والآداب أهدي هذه الصفحات.

عثمان المفتي

أربيل/ ٢٠٠٦

---

[1] توفي في ٢٠٠٩/٤/١٤ رحمه الله برحمته الواسعة.

تقـديـم:

بقلم الأستاذ المساعد/ الدكتور عبدالله محمد الحداد

ليس هيناً أن أتحدث عن صديق عزيز تمتد الوشائج التي تجمعنا الى أكثر من أربعة عقود من الزمن، وانه مجازفة كبيرة أن أختصر ذكريات تلك الفترة الطويلة في أسطر قليلة أو في صفحات محدودة، فقد جمعتنا اضافة الى صلة الجيرة صلات أدبية وثقافية عميقة وراسخة، ناهيك عن الصداقة الحميمة التي كانت تجمع الوالدين الفاضلين والتي تمتد جذورها في أعماق التاريخ.

ففي منتصف الستينات من القرن المنصرم كنا أنا وصديقي الأستاذ (عثمان) في ريعان الصبا، وبينما كان معظم من كانوا في سننا منتشين بنشوة تلك المرحلة من العمر وأحلامها وأوهامها، سلكنا نحن طريقاً آخر، إنجذبنا نحو عالم الثقافة والفلسفة والإبداع المحفوف بالأخطار والمفروش بالأشواك ذلك العالم الذي يحتاج إلى الكثير من التسامي وإلى الكثير من المشقة حتى يكون بوسع المرء إكتشاف بعض مجاهيله، وكان كلما خطونا خطوة نحو الأمام يزداد حجم إستعابنا فكنا ندرك عندئذ أننا مازلنا في البداية، وأن الطريق الذي اخترناه طريق طويل ليست له نهاية... لم تمض فترة طويلة حتى كبرت حلقتنا وضمت نخبة طيبة من الشباب المتعطش

إلى السمو والنضوج الفكري[1]، وقد قيل قديماً (شبيه الشيء منجذب إليه) فاتخذنا من مقهى صغير قريب[2] من دورنا مقراً يلتئم فيه شملنا في أوقات فراغنا نعقد فيها ندوات أدبية وثقافية، نناقش القضايا والمستجدات في عالم الفكر والثقافة... كان كل واحد منا يقراء على صحبه ما يتفتق به يراعه وتجود به قريحته من شعر ونثر باللغتين العربية والكوردية، وكنا نحرص أشد الحرص على إبداء ملاحظاتنا الموضوعية حول تلك النصوص الأدبية، نجري عليها التعديلات والإضافات بدون أي تحفظ وصولاً إلى نص أدبي جميل، وفي أحيان كثيرة كنا نردف ملاحظاتنا بالنكتة البريئة أو الدعابة الخفيفة، ولعلنا كنا نبالغ في تضخيم هفوة صغيرة أو تعبير ركيك أو خطأ لغوي. وكان صاحب النص يشاركنا في الضحك على هفواته ملأ شدقيه! ومن هذه النقطة تبلورت ملامح روح النقد البناء لدينا، وتقوت حاسة الشك عندنا بخصوص أي موضوع نقرأه، وتعلمنا منذ ذلك الوقت المبكر كيف نقرأ بعين نفاذة وبذهن متقد.. لقد كنا نرنوا إلى تعميق معرفتنا وتطوير مواهبنا وتوسيع مداركنا، كما كنا نسعى إلى شحذ وعينا باستمرار، وكان كلما كبرحجم ذلك الوعي نزداد إلتصاقاً بواقعنا، يزداد إصرارنا على تغيير هذا الواقع نحو الأفضل.. لعلنا كنا مثاليين أو رومانسيين لأننا كنا ومازلنا نحلم بتحطيم كل القيود التي تكبل الإنسان

وتمنعه من الإنطلاق وإزاحة جميع أنواع الكوابيس التي تئن تحت وطأتها البشرية!

في عام (١٩٦٧) شاءت الصدف أن تقيم وزارة التربية العراقية مسابقة أدبية على مستوى إعداديات العراق، شارك فيها صديقي (عثمان) بقصيدة شعرية وشاركت أنا بقصة قصيرة وشارك فيها آخرون.. وجاءت قصيدة صديقي (عثمان) في المرتبة الأولى على مستوى محافظة أربيل في حقل الشعر وجاءت قصتي في المرتبة الأولى على مستوى محافظة أربيل ومن ثم على مستوى محافظات الموصل والسليمانية وكركوك في حقل القصة القصيرة.. بينما جاءت الخطبة التي شارك فيها صديق آخر لنا هو المهندس كمال ملا رؤوف في المرتبة الأولى في حقل الخطابة. ووجهت إلينا دعوى للذهاب إلى بغداد لحضور الحفلة الكبيرة التي ستقام لأوائل الإعداديات من المحافظات في قاعة الشعب لإلقاء القصائد والخطب واستلام الجوائز. وقد صرف مدير إعدادية أربيل آنذاك الأستاذ المربي الفاضل المغفور له (نجم الدين المفتي) ثلاثة دنانير لكل واحد منا لتغطية نفقات السفر والإقامة. وبهذه المناسبة اجتمع الأصدقاء في مقرنا أقصد المقهى الصغير فأقمنا حفلة صغيرة حضرها كبير الشعراء في أربيل وقتئذ الأستاذ المرحوم (بيربال محمود) الذي عطر الجو بنفحات من نصائحه وإرشاداته إذ كان

يخشى أن تواجهنا الصعوبات أو نصاب بالخجل والإحراج ونحن نشترك لأول مرة في حفلة كبيرة في العاصمة.

كان الوالدان الجليلان أكثر الناس ابتهاجاً وفخراً وان لم يبديا ذلك أمام الآخرين خشية من أعين السوء.. وقد تجسد موقفهما عندما أغدقا علينا مبالغ ما كنا نحلم بها، ليقينهما بأننا نصرفها في شراء الكتب في مكتبات بغداد وأقيم الحفل الذي افتتحه وزير التربية العراقية آنذاك الدكتور عبدالرحمن الحبيب بكلمة جميلة. وحضره عدد من الوزراء وكبار المربين وأساتذة كلية الآداب بجامعة بغداد إضافة إلى جمع من الأدباء والصحفيين والفنانين وغيرهم في قاعة الشعب في باب المعظم في بغداد.

كان جواً مهيباً إذ كان على الشعراء أن ينشدوا قصائدهم وكان على الخطباء أن يلقوا خطبهم أمام هذا الجمع المخيف أما القصص، فاكتفوا أن يعلنوا أسماء الفائزين منهم وتوزيع الجوائز عليهم وكان ذلك من حسن حظي إذ فازت قصتي بالمرتبة الثالثة على مستوى العراق ومن الطريف كان اسم الصديق (عثمان) أول من نودي به لأنه من محافظة أربيل.. وحرف الألف أول حرف الأبجدية كان العراق حينئذ يتكون من (١٤) محافظة عندما نهض محرجاً تصورت أنه نسي جميع توجيهات والده الكريم وجميع ملاحظات الشاعر بيربال محمود أنها المرة الأولى التي يواجه فيها مثل هذه

الموقف ورغم ذلك فقد أبلى بلاء حسناً وقرأ قصيدته حتى النهاية، وجوبه بعاصفة من التصفيق رنت أصداؤها في أركان القاعة وشكرت الله تعالى فعاد عثمان ليجلس إلى جانبي وهو يقول: الحمدلله تخلصت من هذا المأزق! فضحكنا من الأعماق.

كان الزمن ومتطلبات الحياة ومقتضيات تحصيل العلم يفرق بيننا لفترات تطول أو تقصر، إلا أن شملنا كان يلتئم من جديد.. فيعطي كل واحد منا لصاحبه بعض ما في جعبته، نستعيد ذكرى الأيام الجميلة التي مرت كالطيف واستحالت إلى خيال، إلا أن مذاقها وحلاوتها مازالت باقية نشعر رغم أثقال السنين بذلك الشغف المشترك الذي لم يفقد ألقه للإبداعات الكبيرة التي قدمتها للإنسانية أصحاب المواهب الأصلية سواء في الشرق أو الغرب ولم تخمد جذوة عشقنا لعالم الفن الرفيع والجمال الخالد.

وفي هذا السياق، فأن صديقي الأستاذ عثمان يمطرني كلما التقينا بسيل جارف من أشعاره ويريني قراطيس مزركشة من نتاجاته وخواطره ويطلب مني إبداء الرأي فيها (بصراحة تامة) ويشدد على كلمة الصراحة وهو يطلق ضحكة ذات مدلولات تاريخية!.. فأفهم أنه مازال يتحلى بنفس النفس الذي شببنا عليه وذلك عندما كنا نضع على المشرحة النصوص التي كنا نبدعها في مقتبل

الشباب، كيف كنا نوجه إليها سهام نقدنا ورماح ملاحظاتنا بدون أية تحفظات!..

انني هنا وقبل أن أتطرق إلى العمل الجديد لصديقي أريد أن أسلط ضوءً خافتاً على جانب من خصال والده الكريم القاضي الفاضل المرحوم رشاد المفتي طيب الله ثراه، لإعتقادي أنه ترك أثره وبصماته الواضحة في تنشأة ولده عثمان، ودليلي في ذلك أنه أنشأ عدداً من القصائد الرائعة في رثاء ذلك الأب وجلس في مقامه بعد وفاته وأنه أخذ الكثير من صفاته..

ان المغفور له رشاد المفتي كان واحداً من أفضل الرجال الذين تولوا القضاء في المحكمة الشرعية في أربيل (محكمة الأحوال الشخصية حالياً) وأنه كان رئيساً للمجلس العلمي في أربيل وفي كوردستان العراق وأنه تولى الخطابة في الجامع الكبير في قلعة أربيل على سبيل الحسبة باعتباره سليل أسرة علمية عريقة تولى علماؤها جهة التدريس والخطابة والإمامة في جامعهم المذكور منذ مئات السنين، إلا أنه كان إضافة إلى هذا وذاك صاحب مجلس وديوان خاص به وهذا المجلس متوارث من آبائه العلماء الكرام.

كان مجلس العالم الجليل رشاد المفتي مدرسة ذات سمات متميزة شأنه شأن المجالس التقليدية في مدينتنا العريقة نائياً كل النأي عن جميع أنواع الطعن والتشهير وكل كلام تفوح منه رائحة التعرض

للآخرين إذ ما كان يسمح فيه لأحد أن يغتاب أحداً أو أن يلتجأ إلى النميمة لأن ذلك كان يخل بآداب المجالس المرموقة.

فضلاً عن ذلك كان مجلس شيخنا مجلس علم وأدب وحوارات دينية وفقهية ولغوية وكان الشيخ رجلاً ألمعياً ومحدثاً لبقاً ومناقشاً بارعاً لا تفارق البسمة شفتيه وكان يشيع حوله شعوراً دافقاً من السعادة يستوعب كلامه الصغير والكبير ويستحوذ على قلب العالم وغير العالم كان ماهراً في نقل خلاصة تجاربه وعصارة حياته بأسلوب جذاب خبيراً في سرد الحكايات المتواترة منها والمدونة في بطون الكتب، شغوفاً بسرد النوادر اللطيفة التي تتقطر منها الحكمة والموعظة، وذلك عندما كان المقام يقتضي ذلك كان مرجعاً للفتاوى والأمور الشرعية الدقيقة... وطالما استعان بعلمه القضاة والحكام والمحامون. وطوال خدمته في القضاء لم تنقض محكمة تمييز العراق أياً من قراراته.

كذلك كان حريصاً على مد يد العون لكل من يحتاج للمعونة مهما كان لونه أو مهما كان مستواه، أميناً لمن كان يأتمنه على سر وفي أحياناً كثيرة عندما كان الحديث يجري عن مصطلح كان الشيخ يرجع إلى القواميس والمعاجم والمضان الكلاسيكية التي تزخر بها مكتبته العامرة. فهي مكتبة فريدة من نوعها تضم بين جنباتها أندر المخطوطات وأقدم المطبوعات في مختلف حقول المعرفة.

ولازالت حية عامرة يستفيد منها طلاب العلم وأصحاب رسالات الماجستير والدكتوراه، لندرة وأهمية المصادر الموجودة فيها.

إن صديقي عثمان تربى في كنف هذا الشيخ الجليل، نهل من مناهل علمه كسائر إخوانه وأصدقائه وأحبة والده.

ومادام القلم قد انطلق على سجيته لتدوين لمحات عن مسيرة صديقي عثمان، فلا بئس أن أقدم ندفاً سريعاً عن جوانب أخرى في تلك المسيرة فسوف أعرض عن التطرق إلى التفاصيل الكثيرة وعلى سبيل المثال ففي شتاء عام ١٩٧٨ وعندما كان صديقي عثمان مقيماً في كركوك بحكم وظيفته كنت أنا في تلك الفترة منكباً على إعداد دراسة حول سيرة وأشعار الشاعر الكوردي الكبير الشيخ رضا الطالباني وقد طلب مني صديقي عثمان أن أنزل عنده ضيفاً ليالي الخميس على الجمعة ليتسنى لي التعرف على شخصيات قريبة من أسرة الشيخ رضا وكان له الفضل الكبير في تعرفي على العالم الجليل ورئيس علماء كركوك المرحوم الملا مجيد قطب الذي استقبلنا بحفاوة بحكم العلاقة التي تجمع بين أسرتيهما وسمح لنا بتسجيل حديث شيق عن الشاعر مع إيراد حكايات طريفة حول مناسبة بعض قصائده. كما كان له الفضل في التعرف على المرحوم علي رفيق أفندي خادم السجادة النائب في البرلمان العراقي في العهد الملكي والذي بدوره أنار جوانب من سيرة الشاعر بحكم علاقة القرابة

بينهما وكذلك كان له الفضل في تسجيل حديث نادر مع المرحوم الشيخ نجيب بن الشيخ علي الطالباني ابن أخ الشيخ رضا والذي بدوره قدم لنا معلومات في غاية الأهمية عن سيرة عمه وقرأ لنا العديد من قصائده غير المنشورة في ديوانه وصحح العديد من المعلومات حول الشاعر إذ أكد أن الشيخ رضا عمه وسائر إخوانه ولدوا في قرية (طالبان) وليس في قرية (قرخ) كما وردت في بعض المصادر، إلا أنهم قاموا في بعض الفترات في قرية (قرخ) وكان الشيخ نجيب الطالباني الذي توفي بعد أسبوع واحد من ذلك اللقاء أحد أبرع من سمعتهم في إنشاد القصائد الكلاسيكية، وخاصة القصائد الكوردية والتركية، كما قرأ لنا القصيدة الشهيرة للشيخ محمد خالصي ابن الشيخ رضا والتي كان قد بعث بها إلى الشيخ محمود الحفيد.

كنا في تلك المرحلة نعاني من الجراح التي أصابت كوردستان ولاحظت وأقولها للتاريخ أن فراق أخيه الأستاذ عدنان كان يلوعه من الأعماق وقرأ لي قصيدة رائعة يتحدث فيها عن شمائل (عدنان) ومناقبه ومازلت أتذكر قطرات دموعه التي طفرت من عينه وسقطت على الورق.

ويبهجني هنا أن أتطرق إلى الرسائل الطويلة والحافلة والأفكار الثمينة ودرر الكلام والتي كان يبعثها إلى صديقي عثمان عندما

كنت طالب دكتوراه في جامعة السوربون بباريس في منتصف الثمانينات من القرن الماضي حيث كان يخصص لكتابتها أشهراً عدة وكانت تلك الرسائل بمثابة بلسم روحي وكانت تدخل البهجة والسكينة في نفسي في وقت كنت أعاني فيه من لدغات الغربة وأكابد من شرارتها.

وفي زيارتي لصديقي عثمان في ليلة من ليالي شباط/ ٢٠٠٦ قرأ ولمن كان في مجلسه قصيدة الشيخ رضا آنفة الذكر وشرحها ثم قدم لي الكتاب الذي صنفه عن القصيدة المذكورة باللغة العربية وطلب إلي وكما عهدته أن أقرأ الكتاب وأدون ملاحظاتي حوله.

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أثني على حسن اختيار الأستاذ عثمان لموضوع أدبي حيوي في غاية الطرافة، فقد أقدم على ترجمة قصيدة من الفارسية إلى العربية، قصيدة نظمها الشاعر الكوردي الشيخ رضا الطالباني (١٨٣٥ – ١٩١٠)، وأن أقل ما يمكن أن يقال عنها بأنها ترجمة أمينة ودقيقة، أضاف إليها من فيوضات موهبته رونقاً ونكهة خاصة، وهذه النقطة بالذات تؤكد أن لعثمان المفتي أسساً ثقافية واسعة في التعامل بوعي مع التراث الشعري الكلاسيكي الشرقي – الإسلامي بكل تعقيداته ومصطلحاته وبكل أبعاده التأريخية والروحية..

ولم يقف المفتي عند تخوم الترجمة المجردة، انما توغل في أحشاء القصيدة، فشرح معانيها بيتاً بيتاً، معززاً ذلك بإيضاحات مفيدة، والكشف عن الدوافع النفسية التي حركت مشاعر الشاعر وشجعته على نظم تلك القصيدة الفريدة من نوعها.. فمن المعروف أن شاعرنا كان يتربع على عرش الشعر بدون منازع في عصره وخاصة في حقل فن الهجاء، إلى جانب تضلعه في الفنون الشعرية التقليدية الأخرى.. وان ديوانه يزخر بأشعار في أغراض الهجاء والسخرية والنقد اللاذع باللغات الكوردية والفارسية والعربية والتركية – العثمانية. وكان اتقانه المذهل لتلك اللغات عاملاً إضافياً في ذيوع شهرته على مستوى واسع في مختلف البلدان والأمصار الشرقية، وقد شمل هجاءه كل من يستحق ذلك من وجهة نظره في عصره.. وكان للسلطة السياسية ولبعض رؤساء العشائر حظ وافر من هجائه إلا أن أقرب المقربين إليه لم يفلتوا من لدغات لسانه وطعناته.

عاش الشاعر في عصر اختلت في الموازين.. واختلطت الأوراق، وفقدت فيه مباديء المساواة والعدالة، وانتشر الفساد في الأجهزة الإدارية.. عصر تهاوت فيه أركان التقييم الموضوعي للأمور والأفراد، وأنيطت شؤون الناس ومصائرهم إلى حفنة من الجهلاء والسطحيين من الذين كانت تسيرهم الأهواء الشريرة والأطماع الخسيسة.

كان شاعرنا يتمتع بمواهب عديدة، وكان يحاول باستمرار أن يتأقلم مع الواقع من أجل البلوغ لأي مركز يؤمن له الحد المعقول من الحياة الكريمة، إلا أنه كان يصطدم دائماً بأطماع أصحاب العقول المتعفنة والنفوس الوضيعة، والذين كانوا يشعرون في أعماقهم بضآلة شأنهم أمام هذه العبقرية الفذة، فيكيدون له ويتعمدون إيذائه. فما كان منه إلا أن يهجوهم ويعيدهم إلى حجمهم الحقيقي!.

لقد أصاب عثمان المفتي كبد الحقيقة عندما أشار إلى أن الشاعر عندما أقدم على نظم هذه القصيدة في هجاء الأبراج التي كان هناك اعتقاد بأنها تتحكم في تحديد مصير الفرد، وفي تأطير سمات حظه، انما كان يرمي إلى توجيه سهامه إلى أولئك الذين اضطلع (الحظ) بدور رئيسي في إيصالهم إلى مراتب لا يستحقونها، في حين أن الفضلاء والأكارم وأصحاب المواهب الكبيرة كانوا يعانون الأمرين. بسبب حظوظهم النحسة التي كانت بدورها متعلقة بما تصدر من تلك الأبراج حسب اعتقاد الكثيرين!.

إذن فان المعادلة التي أبدعها الشاعر تقوم على الفرضية التالية: مادامت لتلك الأبراج تأثيرات وانعكاسات خطيرة على مصير الناس، فأنها حتماً تستحق أن تنال من الهجاء والذم والقدح والسخرية ما تليق بها، ليس هذا وحسب، بل ينبغي أن تدمر وتزال عن الوجود

حتى ينتهي أثرها على البشر، وحتى لا تتاح لها الفرصة مرة أخرى لتجلب الحظ السعيد لمن لا يستحقه، وحتى لا يكون في مقدورها حرمان الأفاضل من الرجال مما يستحقونه من مكانة في مجتمعهم.

ان قصيدة الشيخ رضا هي بمثابة صرخة مدوية بوجه الظلم الاجتماعي، وانها بعبارة أخرى أنين منبثق من قلب حزين، يمكن اعتبارها من أرقى أنواع السخرية في عالم الأدب، فالسخرية، كما يقول أدونيس – تترجم حاجة روحية: أن المجتمع يسحق الشاعر بلامبالاته وإنكاره، فيسحقه الشاعر بأن يسخر منه ويحتقره.. عالج الأستاذ عثمان المفتي الموضوع برؤية نقدية أصيلة، وبأسلوب يتميز بالأناقة والرشاقة، وقدم إلى القارئ عملاً يستحق التأمل والتعمق.

أ. م. د. عبدالله حداد

دكتوراه من جامعة السوربون باريس

أربيل: ٢٠٠٦/٣/٢٠

الهـوامـــش:

(١) كان المقهى الذي اتخذناه مقراً لمساجلاتنا الأدبية، يقع في موازاة جامع الحاج محمود العلاف، وكان أصغر من المقاهي الأخرى التي كانت تقع في المنطقة ذاتها وبجانبها يقع مكتب أخي الأكبر المقاول المرحوم عبدالقادر الحاج محمد، وكانت الدكاكين المقامة هناك تشكل نصف دائرة محيطة بالمدرسة المظفرية وقد هدمت المدرسة والدكاكين والمنشآت الأخرة في المنطقة وأقيمت في موضعها بناية محافظة أربيل حالياً، وكان صاحب المقهى رجلاً طيباً أسمر اللون نحيف البنية اسمه (ابراهيم كويى).

(٢) ومنذ منتصف الستينات وحتى مطلع السبعينات، ظل ذلك المقهى محتفظاً بنكهته وفي الفترات التي كنا ندرس في بغداد، وكنا نرتادها في العطلة الصيفية.. وحتى الأخوة الذين سافروا إلى الخارج كانوا يبعثون إلينا برسائل يتحدثون فيها عن هذا المكان الذي ضم بين جنباته أجمل الذكريات، وبقدر ما تسعفني الذاكرة، يطيب لي في هذا المقام أن أذكر أسماء بعض الأصدقاء والأحبة الذين اجتمعنا بهم في المقهى، أو الذين كانوا يزوروننا فيه، وبالإضافة إلى كاتب هذه السطور والأخ عثمان المفتي، ضم المقهى لقاءاتنا مع الأخوة الأعزة: الدكتور سيامند زيد أحمد عثمان، التربوي اللامع الأخ عبدالهادي رحمان سليمان، الذي كان قد اختار لقب (يادير) لنفسه

آنذاك، والأخ شوان خالص القاضي، الأخ الطبيب محمد شهاب علي البزاز، الأخ الشاعر والصحفي سامي عبدالفتاح (سامي شورش)، الأخ مخلص يونس كور بابازاده، الأخ الطبيب نوزاد يحيى (باجكر)، الأخ المحامي المرحوم ابراهيم عبدالقادر الدوغرمجي والأخ آزاد عبدالحميد والدكتور وريا عمر أمين والأخ طارق عبد، والمرحوم ابراهيم أحمد خليفة، والشاعر الكبير المرحوم بيربال محمود، والأديب المرحوم سيف الدين اسماعيل محمود مؤلف كتاب عبث الشياطين، والأخ الأديب الكبير محمود زامدار، الأخ يحيى ادريس الصواف (وكان من أهل الموصل)، الأخ الطبيب مازن حيدر الأسعدي المقيم حالياً في لندن، والأخ المرحوم الشهيد فؤاد عبدالرحمن جلبي، الأخ الكاتب محسن صابر (جوامير)، الشاعر المرحوم مصطفى بەژار، الأخ الشاعر محسن ئاواره، الأخ الصحافي عبدالقادر محمد أمين پەرى، الأخ التربوي جواد شيرواني، الأخ أنور عبدالله، الأخ الصحافي اللامع طارق إبراهيم شريف، الأخ الصحافي نزار جرجيس علي، الأخ الكاتب حسام داود خضر، الأخ أحمد، الأخ علي مولود، الأخ المهندس كمال ملا رؤوف، الأخ عبدالخالق فاضل، الأخ ممتاز حسن، الأخ قاسم جليل، الأخ دشتي وهاب، الأخ طارق الحاج سعيد ملا خورشيد، الأخ الشاعر الدكتور عبدالله پەشێو، القاص المرحوم محمد مولود (مەم)، الأخ الشاعر مدحت بێخەو، الأخ الشاعر فريد

زامدار، الأخ الصحافي عبدالغني علي يحيى، الأخ مجيد هێرش وآخرين...

ملحوظة:

١. أستميح العذر عن كيفية تسلسل الأسماء، كما أستميح العذر من الأخوة التي لم تسعفني الذاكرة على ذكرهم، وسأكون شاكراً لهم إذا تفضلوا بإعلامي.

٢. أن للعديد من أولئك الأصدقاء ذكريات ومآثر خاصة تستحق أن نخصص لها صفحات طويلة، وأتمنى أن تتاح لي فرصة لتدوينها مستقبلاً.

أوراق من فكر الشاعر الشيخ رضا الطالباني

تقديم:

الشاعر الشيخ رضا الطالباني... الشاعر الفذ والحكيم الألمعي، ذو الذهن المتوهج والفكر والوقاد، والإنسان القلق الشفاف، الغريب عن عصره وأهل عصره، كدأب الفلاسفة... في كل زمان ومكان...

كتب شاعرنا بقلم يتدفق منه الشعاع فأنتج الدرر الغوالي. وتفنن وأجاد وتمعن، شأنه في ذلك شأن عباقرة الفكر في القضايا التي كانت تشغل الإنسانية وكان يمد شباك فكره في فضاء رحب لا متناه ويعود من رحلته مثقلاً بالنفائس. فكان المداد الأسود يتلألأ كالنجوم اللامعات في الليالي الحالكات.

والقارئ الكوردي اطلع على جوانب من أشعار الشيخ رضا باللغة الكوردية... إلا أنه لا يستطيع الكشف عن الجوانب الأخرى لأن شاعرنا كان عبقرياً بثلاث لغات أخرى، إضافة إلى لغته الأم، وهي التركية والفارسية وشذرات من العربية.

وخلال العقود المنصرمة تقلص عدد القراء باللغات الثلاث ما خلا اللغة الكوردية.. وبذلك فقد معظم القراء الكورد متعة فكرية رائعة من جراء حرمانه من الوقوف على ابداعات شاعرنا وغيره من الشعراء الكورد بتلك اللغات.

والمثقف (الرصيفي).. أعني به من يقتني كتاباً هنا أو هناك ويحفظ بعض المصطلحات ويجلس في زوايا المقاهي التي إشتهرت بأنها تحوي تجمعات الأدباء. هذا المثقف من العسير أن يغوص في عالم شاعرنا على الوجه الأكمل ولا تتعدى حدود معرفته سوى بعض أشعاره التي قالها في باب الهجو. فإذا كان قد قال قصيدة هجاء.. فإنها فلسفة.. ومَن مِن الشعراء العظام لم يطرق هذا الباب في فن الشعر.. فهذا المتنبي العظيم يهجو (فاتك الأسدي) فيقول:

ما أنصف القوم ضَبَّة   وأمهُ الطرطبَّة

إن أوحشتـكَ المعالي   فإنها دار غربة

أو آنستـك المخـازي   فإنها لك نسبة

ألخ............

وهذه القصيدة كانت السبب في قتله لاحقاً..

ولنعد إلى لب الموضوع.. فنقول:

إن العلماء الأقدمين قد أولوا جانباً مهماً من ثقافتهم واهتماماتهم بالأبراج والكواكب والعناصر الأربعة المعروفة. (النار والماء والهواء والتراب) ففي اعتقاد الأقدمين بأن كل المخلوقات جبلوا من تلك

العناصر... وهنا لابد لي أن أسوق بيتاً من الشعر لجدي العلامة محمد المفتي (مفتي أربيل) قالها باللغة التركية:

وجودم عنصرى (نار)ى محبة (اب) حسرتدر

(هــوا)ى كـوى شيرين (خـاك) پاى اه زلتدر

المعــنــى:

إن عنصر وجودي هو نار المحبة

وماء الحسرة

ونسائم ديار المحبوبة (شيرين)[٢].

والثرى التي تمشي عليها، مبعث حسرات الذلة...

وحقاً فان الشاعر قد أبدع حينما جمع العناصر الأربعة في بيت شعر واحد. أن هذا البيت يدخل في باب التصوف وإن معانيه الخفية معروفة لدى المعنيين... فقد جمع الشاعر في هذا البيت العناصر الأربعة في معنى لطيف دقيق، كذلك كان الأقدمون مولعين

---

[٢] شيرين: حبيبة خسرو. وهي من ملاحم العشق في الأدب الكوردي والآداب الشرقية الأخرى.

بمدارات الكواكب وتأثيراتها على حياة المولودين فيها وطوالع الملوك.. وهذه الكواكب والأبراج جمعت في الجدول التالي:

ت	اسم البرج	اسم النجمة	المزاج
١	برج الحمل	المريخ	ناري
٢	برج الثور	الزهرة	ترابي
٣	برج الجوزاء	عطارد	هوائي
٤	برج السرطان	القمر	مائي
٥	برج الأسد	الشمس	ناري
٦	برج السنبلة (العذراء)	عطارد	ترابي
٧	برج الميزان	الزهرة	هوائي
٨	برج العقرب	المريخ	مائي
٩	برج القوس	المشتري	ناري
١٠	برج الجدي	زحل	ترابي
١١	برج الدلو	زحل	هوائي
١٢	برج الحوت	المشتري	مائي

إن تلك: العناصر الأربعة + الأبراج + الكواكب كانت في رأيهم تؤثر على حياة الإنسان وتوضح خطوط حظه وترسم معالم مصيره من يوم مولده إلى يوم وفاته.. أي إنها كانت تؤطر مسيرة حياته..

وإن تلك الأبراج والكواكب والعناصر كانت تتحكم في حياة الإنسان حسب اعتقادهم، كطالع السعد.. وطالع النحس..

ثم إنهم جمعوا كل تلك المسببات والتأثيرات في مصطلح واحد تختلف باختلاف اللغات والثقافات.. فأطلقوا عليها تسمية الدهر.. أو الفلك.. أو (چرخ) باللغة الكوردية، وبعض اللغات الشرقية الأخرى..

وقد اتخذ أغلب الملوك والسلاطين منجمين وفلكيين لاستشارتهم. والمنجمون تفننوا في الحصول على ما يريدون مستغلين ضعف وتخلف وجهل الملك أو السلطان. فكانوا يسمون الفأل الحسن بـ(مطالع السعود) والفأل السيء بـ(مطالع النحوس). حتى أن بعض المؤلفين لسير الولاة كتبوا العنوان من هذا المدخل، فهذا كتاب عن الوالي داود باشا والي بغداد جعل عنوانه (مطالع السعود في أخبار الوالي داود)، المطبوع سنة ١٣٠٢هـ في مصر وموجود في مكتبتنا تحت رقم ١٣٢ قسم كتب التاريخ. وكم سمعنا من يندب حظه بقوله (آه من جور الفلك)، على اعتبار أن ما أصابه من سوء الحظ هو من تأثير الفلك الذي يحتوي على الأبراج والنجوم والعناصر

الأربعة، وكم قرأنا شعراً كثيراً لشعراء كبار عن الدهر ولدغاته للمرء..

إقرأ معي الأبيات التالية لشاعر من أربيل اسمه (درويش) قالها قبل قرن من الزمان وباللغة التركية:

حكيمي مطلقن گر أولمسه بير إيشته تقديري ١
مفيد أولماز هەزاران دانشن رأي وتدبيري

هەزاران جوشن پۆلاد دن قد قد زريه كيرساو ٢
كييش منع ايدمز قوس قەزادن اتلان تيري

حزر منع قدر قلمز نه دكلو كوشش ايلرسن ٣
قضاى مبرمن ممكن دكل سعييله تغيري

نه نقش ايدرسة أستاذ ازل بێ عيبدر جمله ٤
كمال صنعنه ايلر دلالت حسن تصويري

محقق در مخير فاعل مختار هر ايشته ٥
كواكبله فلكتن أي منجم بلمه تأثيري

سعادت ايستريسن أهل تسليم وتوكل أول ٦
قبول ايت جانيله درويش بندي حضرتي ثيري

المعنى:

١. إذا لم يكن للحكيم المطلق (والذي هو الله سبحانه وتعالى) إرادة وتقدير في إنجاز أمر ما..

فلا يجدي معه آراء وتدابير الآلاف من الحكماء.

٢. لو لبست آلاف الدروع الفولاذية.

فان الدروع لا تستطيع منع نفاذ السهم المصوب من قوس القضاء.

٣. ان الحذر لا يمنع القدر مهما سعيت وبذلت من جهد.

ولا يمكن مطلقاً تغيير القضاء المبرم بالسعي.

٤. وكل ما يقدره الإله الأزلي، فلاشك أنه حق وصحيح وليس فيه عيب.

ويدل على كمال خلقه، حسن تصوير الخلق.

٥. ولله الإرادة المطلقة فيما يشاء ويختار ويقدر.

فلا تظن بأن ذلك من تأثير الكواكب والأفلاك، أيها المنجم.

٦. وإذا كنت تريد السعادة التامة فكن من أهل التسليم والتوكل.

واقبل ببذل الروح يا (درويش) نصائح حضرة البير. وتأتي كلمة (پير) كثيراً في مصطلحات شعراء الصوفية بمعنى المرشد أو الموجه أو الأستاذ.

وعند الرجوع إلى القواميس التركية وجدنا أن كلمة (پيرى مغان) تعني (پاپاز) ويشرح العلامة شمس الدين سامي صاحب القاموس التركي الشهير بأن معنى كلمة (پاپاز) تعني (رئيس الروحانيين)، أما كلمة (پيرى مغان) فانه يعطي لها معنى (ميخانه‌چى) أي (صاحب الحانة). ويبدو أن للكلمة معنى لغوياً ومعنى اصطلاحياً، فاللغوي بمعنى صاحب الحانة. والاصطلاحي بمعنى رئيس الروحانيين.

ووردت كلمة (پير مغان) بأنه المسؤول في الديانات القديمة عن إبقاء نار المجوس متقدة بشكل دائم. ثم اطلقت العبارة على مسؤول (الحانة). وهي حانة الشعراء. وقد استخدمه كل الشعراء والفلاسفة الفرس باستخدامهم كلمة (ميخانه). وكمثال على ذلك نورد بيتين من الشعر لحافظ الشيرازي حيث يقول:

دوش ديدم كه ملايك در ميخانه زدند
گلى ادم بسرشتند و به پيمانه زدند
اسمان نه توانيد بارى امانت بكشيد
قرعه‌ى ناكام به منى ديوانه زدند

المعنى:

ليلة أمس رأيت الملائكة تدق على باب الحانة

حين أبدعوا طينة آدم وصاغوها في القوالب والأقداح...!!

★ ★ ★

ولم تستطع السماء أن تتحمل عبء (الأمانة)

فاقترعوها على اسمي.... أنا المولّه المجنون...!!

وقد أخذنا الترجمة من كتاب (أغاني شيراز) لمؤلفه الدكتور ابراهيم أمين الشواربي/ دكتوراه في الآداب/ ترجمة جميع غزليات حافظ الشيرازي/ الجزء الأول/ غزل رقم ١٣٤/ ص١٨١.

ويقول حافظ الشيرازي في غزل آخر:

به مى سجاده رنگين كن گرت پيرى مغان گويد

كه سالك بيخبر نبود زراه و رسم منزلها

المعنى:

فلون (السجادة) بالخمر، إذا قال لك ذلك الشيخ الكامل أو المرشد الواصل...

فان (سالكاً) مثله لا يجهل الطريق ورسوم المنازل.

(وقد أخذنا الترجمة من المصدر السابق ذاته ولكن بتصرف).

وربما تدل كلمة (پير) هنا على الشيخ عبدالقادر الكيلاني (قدس سره) حيث يطلق عليه أحياناً عبارة (پيرى گەيلانى). وليس من

الضروري أن يأتي معنى كلمة (پير) كما ذكرنا. فقد يقصد منه الحكيم الكبير. أو الشيخ العالم.

(ونعتذر للقارئ الكريم بخروجنا عن الموضوع.. وهدفنا كان الوقوف عند كلمة (پير) دون استعمال الهوامش. فعسى أن نكون قد أفدنا).

وفي مثل هذا التسليم يقول شاعر آخر:

دع المقادير تجري في أعنتها ولا تـبـيتن إلا خـالي البـال

ولنلق نظرة على ما قاله الشاعر الكبير أبي تمام الطائي مخاطباً الخليفة (المعتصم) بعد ما استشار الخليفة بعض منجميه في إبداء الرأي وبيان طوالع النجوم لغرض التحرك لفتح عمورية على إثر إستغاثة إمرأة.. فأشار المنجمون عليه بعدم الإقدام على ذلك الفتح لأن الكواكب والنجوم تشير إلى عدم نجاح العملية.. إلا أن المعتصم لم يأبه برأيهم بل توجه نحو عمورية وفتحها فأنشده أبي تمام قصيدة مهنئاً إياه بالفوز ومسفهاً رأي المنجمين:

السـيف أصـدق انباءً مـن الكتب

في حـده الحـد بين الجـد واللعب

بيض الصفائح لا سود الصحائف في

متونهن جـلاء الشـك والـريـب

والعـلم في شـهب الأرمـــاح لامعة

بين الخميسين لا في السبعة الشهب

أيـن الرواية بل أيـن النجـوم وما

صاغوه من زخرف فيها ومن كذب

تـخرصــا وأحــاديـثاً مـلـفـقـة

ليســت بنبع إذا عـدت ولا غـــرب

عجائباً زعمــوا الأيـــام مـجـفـلة

عنهن في صـفر الأصـفار أو رجـب

وخـوفـوا الناس من دهماء مظلمة

إذا بـدا الكوكب الغـربي ذو الذنب

وصـيروا الأبـرج العـليا مـــرتبة

مـــا كـــان مـنقلباً أو غير مـنقلب

يقضون بالأمــر عنها وهي غافلة

مـــا دار في فلك مـنـها وفي قطـب

لـو بينت قط أمــراً قبل موقعه

لـم يخف ما حل بالأوثان والصلب

وهذا المتنبي يتحدث عن الدهر حيث يقول مخاطباً كافور:

لعمرك مـــا دهرٌ بـــه أنت طيب..

أيحســبني ذا الدهــر أحسبه دهراً..

وكذلك الجواهري يقول نادباً حظه:

مشى الدهر نحوي مستشيراً خطوبه

كأني بعين الدهر قيصر أو كسرى

وقد كان يكفي واحدٌ من صروفه

لقد أسرفت إذ أقبلت زمراً تترى

ويقول شاعر آخر جامعاً الجناس في شعره:

عَضَّنا الدَّهرُ بنَا به   لَيتَ مَا حَلَّ بنَا، به

والبعض يسمي الدهر بـ(الدهر الخؤون).. لأنه لا يبقى حالاً على حاله.. ولهذا قيل: (دوام الحال من المحال).

ومثل هذه المصطلحات تتردد كثيراً في آداب الشعوب الشرقية والاسلامية.. هذا وقد نهى النبي الكريم (ﷺ) عن سب الدهر فقال: (لا تسبوا الدهر.. فان الدهر هو الله)[٢].

وبطبيعة الحال فلا أحد من المؤمنين يسب الدهر بالمفهوم الذي استخدمه النبي (ﷺ).. وإنما يعنون أهل ذلك الدهر وما اتسموا به من الدناءة والخسة والغدر.. فهذه الصفات موجودة في كل زمان.. وكل مجتمع.

---

[٢] حديث رقم (٩٧٨٥) الجامع الصغير/ص٥٨٠/ دار الكتب/ بيروت/ ١٩٨١/ تأليف الإمام جلال الدين السيوطي.

فكم من ملكٍ نام ملكاً وأصبح أسيراً، أو لقى حتفه بطريقة من الطرق..

يا نائماً بالليل مسروراً بأوله		إن الحوادث قد يطرقن أسحاراً

وكم من عزيز أذله الزمان.. وكم من طاغية متجبر أوقعه الدهر.. ومرغ أنفه بالتراب.. لذا يقول أحمد شوقي:

فَدَع كُلُّ طاغِيةٍ لِلزَّمَانِ		فَإنَّ الزَّمَانَ يُقيم الصُعَّرْ

إذن فإن العتاب على الدهر يعني العتاب على الخلق الموجود في ذلك الدهر والعتاب على الفلك يعني العتاب على تأثيرات الكواكب والأبراج في حياة الإنسان إن كان هناك تأثير.. وكلمات باللغة الكوردية مثل (چرخ) و (گەردون) و (فلك) و (رۆژگار)...ألخ. تعني صروف الدهر وتقلب الأحوال لا غير..

ويرى بعض العلماء والأدباء عندما يجدون من تسنم المناصب من غير المستحقين أو من استغنى من غير أن يكون لذلك أهلاً بأن ذلك سببه (الدهر).. فإما كان (الدهر) خاطئاً أو غافلاً أو سكراناً ثملاً عندما حدث ذلك الشيء.. وفي هذا المعنى يقول العلامة الكوردي محمد فيضي الزهاوي[٤] (مفتي بغداد/ ١٧٩٣ – ١٨٩٠م):

---

[٤] راجع كتاب: محمد فيضي الزهاوي/ نبذة عن حياته وشيء من آثاره/ تأليف محمد علي القرداغي – العضو العامل في المجمع العلمي الكوردستاني/ دار ئاراس للطباعة والنشر/ أربيل/ كوردستان العراق/ ٢٠٠٤م.

أقـــول لـــن قـــد طيشـتـه رياســة

تمهل رويداً، فيك قد غلط الدهر

وما سدت عن علم ولا عـن فصاحة

ولا عن ذكا فضل، وهذا هو القهر

تــأن يراجـــع فيك دهـــرك عـقله

فما ســدت إلا والزمــان بـــه سكر

ولكن سيصحو الدهر من بعد سكره

ويسـقيك كاســـات مـذاقـتـه المـر

ومن المعلوم أن العصر الذي عاش فيه الزهاوي كان عصر فساد إداري رهيب.. وإذا أردت أن تعرف كيف كان الناس يتبوأون المناصب فراجع كتاب العلامة الدكتور علي الوردي/ لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث/ (٨) أجزاء والكتاب والمؤلف أشهر من أن يُعرَّفا.

والشيخ رضا الطالباني كغيره من علماء عصره كان ملماً بتلك المسائل ومطلعاً على تفاصيلها وخفاياها.. مستاءاً مما يقال عن تأثيراتها السيئة على طالعه إذ كان يعاني من الفاقة والعوز والإهمال وهو الإنسان الذكي والمثقف البارع والشاعر الفذ.. بينما كان بعض الجهلة يتبؤون مناصب رفيعة.. فكم جاهل كان يملك السلطة والمال وكم من عالم ومفكر وشاعر وأديب فاضل وحكيم لم

يكن يملك قوت يومه.. ولا يجد من يقدره ويحترم مواهبه ويضعه في المنزلة التي يستحقها..

ويقول الشاعر العراقي محمد صالح بحر العلوم في إحدى رباعيات مقطوعته الشهيرة والتي عنوانها (أين حقي)..

كم فتى في الكوخ أجدى من أمير في القصور
قـوتـه اليومـي لا يـزداد عـن قرص صغير
ثلثاه مـــن تـــراب والبقايا مـــن شـعـيـر
وبباب الكوخ كلب الشيخ يعوي (أين حقي)..؟

وأكاد أسمع صراخ الشاعر الشيخ رضا الطالباني وأمثاله عبر الأثير من الغيب صائحين: (أين حقي)..؟!

وأنت أيها القارئ الكريم.. ربما كنت تصرخ مثلهم وتقول بوجه الدنيا: (أين حقي)..؟!

ويحضرني هنا بيتان من الشعر لإبن الراوندي[٥] يقول:

---

[٥] الراوندي (أبو الحسين أحمد بن يحيى) (تولد ٢٩٨هـ/ ٩١٠م): كان من المعتزلة ثم نبذ تعليمه. كتب ضد الإسلام والأديان المنزلة، نشأ في بغداد وأصله من راوند (أصبهان)، تنسب إليه (الراوندية) فرقة من المتكلمين المتطرفين، له (فضيحة المعتزلة)، (الزمرد)، (التاج)، (الدامغ)، المصدر – المنجد في اللغة والاعلام/ دار المشرق/ بيروت/ الطبعة ٢٤/ ١٩٨٦م/ ص٣٠٤.

كم عالمٍ عالمٍ أعيت مـذاهبه
وجاهلٍ جاهلٍ تلقاه مــرزوقا
هذا الذي صير الأفهام عاجزةً
وَحَوَّلَ العالم النحرير زنديقا

نعم بالضبط كان هذا حال الشاعر..

ويبدو أن أحد أولئك الأشخاص من الذين حظوا بالشهرة وأصبحوا من ذوي الجاه والمال والسلطة كان جاهلاً.. فسولته نفسه التعرض للشيخ رضا أو تعمد على إيذائه أو المساس بكرامته.. مما حمل شاعرنا على أن يثور.

وكيف يثور...؟ وعلى من يثور...؟ لأنه إذا كانت طوالع السعود وطوالع النحوس من تأثير تلك الكواكب والأبراج.. ومادام شاعرنا ذو طالع نحس والسبب هو تأثير تلك الأبراج والكواكب.. فلابد من أن يتناول الأسباب واحداً بعد الآخر بالهجوم والنقد والهجاء اللاذع.. ولابد من الانتقام..

فمادامت تلك الأبراج سبباً لشقاء الشاعر فقد وجب الانتقام..

وكيف ينتقم من الأبراج والكواكب...؟

لا سلاح لدى الشاعر غير فكره الوقاد وشعره اللاذع.

فصبراً أيتها الأبراج والكواكب.. فقد أصبحتم هدفاً لفكر الشاعر وسياط لسانه وكلماته اللاذعة..

والآن سندخل إلى عالم القصيدة لنرى ماذا فعل الشاعر بتلك الأبراج والكواكب.

تعريـف بالقصيدة:

هذه القصيدة غير موجودة في دواوينه المطبوعة ومنذ الطبعة الأولى عام ١٩٣٥م وما تلاها من طبعات، غير أنه تم العثور عليها منشورة في مجلة (نمكدان) الفارسية.. ونشرت عام ١٣١٣هـ الموافق لعام ١٨٩٥م. وثبتها كل من الأستاذ (شكر مصطفى) والدكتور (مكرم الطالباني) في كتابيهما المنشورين عام ٢٠٠٠م ولم يتطرقا إلى كيفية العثور عليها ولا إلى شرحها.

وفي اعتقادي أن شخصية الشيخ رضا الطالباني وأشعاره باللغات الأربعة ستحظيان بدراسات كثيرة بمرور الزمن وتوالي الأحقاب، ولفترة طويلة، شأنه في ذلك شأن أبو الطيب المتنبي الذي مر على رحيله أكثر من ألف عام، ومع ذلك فأن له الحضور الدائم في فكر الأدباء فلازالت تكتب عنه العشرات بل المئات من الدراسات والأبحاث والاطروحات الأكاديمية. وكما وصفه الجواهري بأن المتنبي شاعر لا يتزحزح عبر القرون.

إلا أنني أخشى أن لا تستطيع الأجيال القادمة من إيفائه حقه بسبب عدم إلمامها بالأجواء والمناخات والظروف التي عاشها الشاعر أو بسبب عدم وقوفها على الأساس الثقافي والديني له فضلاً عن عدم إمامها بما يكفي باللغات الأخرى.

وأخيراً نقول بأن الشيخ رضا الطالباني كان له القدح المعلى في أي غرض من أغراض الشعر.. مثله في ذلك مثل المتنبي وشكسبير.. وكل في اتجاهه.. وهم وأمثالهم لا يختلفون عن (مايكل انجيلو) و (دافنشي) وغيرهم.. وجميع هؤلاء في بستان واحد مع (أديسون) و (اسحاق نيوتن) و (لويس باستور) و (أنشتاين).. كونهم جميعاً عباقرة يستلهمون من علم الله ما يتفضل به على عباده، فهم يأخذون قبساً من عالم الغيب ليظهروه في عالم الشهادة حتى تنتهي الحصة المقررة من العلوم لبني البشر.. وعندها تقوم الساعة.

ومثلما يتخرج طلاب الجامعات بعد إكمالهم المناهج المقررة في كلياتهم. كذلك يجب أن تتوقف البشرية من الاستمرارية والتناسل لأن المنهج الرباني المخصص من القوانين الإلهية والشرائع السماوية وبعثة الأنبياء والرسل والإنذار والوعد والوعيد.. وكذلك العلوم والآداب والفنون وغيرها ستنتهي يوماً وحينها تقوم الساعة. ومثلما يموت البشر فور استنفاذه رزقه المخصص له من قبل الله الرزاق العليم، كذلك البشرية سوف ينتهي وجودها بعد استنفاذها العلوم المخصصة لها بقيام الساعة.

در شکایت از زمانه استخراج از مجلهء نمکدا نخانهء
پنجم سال ۱۳۱۳ (پیتی) ری[۷]

۱. از دســت تـطـــاول زمـــانـه
کــس نیســت نخورده تازیانه

۲. اي بیهـــده گیـــر مـــردم آزار
نـاهــی زگـنـاه وخــود گـنهکار

۳. خــود مجــرم وفاعــل گـناهی
وز بی گـنهان جــریمه خواهی

۴. آدم بـدسـیســهء تـو اغـوا
نه حیه سـبب شـد نـه حـوًا

۵. مــن ســنگ زدم بفرق هابیل؟
أي راهنمای صـد چــو قـابیل

۶. خــود ظـالم و أز منت شکایت
دانی به چــه مان این حکایت

۷. ماند به حدیث گرگ محجوب
یوسف ندریده پیش یعقوب

۸. یحیای نبی ذبیح من بود؟
آنهم عمل قبیح من بود؟

۹. من پای خلیل را ببستم؟
دندان حبیب را شکستم؟

۱۰. من دست یزید را کشاندم؟
بر مسند عزّتش نشاندم؟

۱۱. من کشتم امام مجتبی را؟
من بردم اسیر کربلا را؟

۱۲. من جامه و کعبه را دریدم
دم خر ویس من بریدم؟

۱۳. نگسته رگی نخسته جانی
سنگی نزده بر استخوانی

۱٤. ای باعــث نامــرادی مـــن
شــرمی ز نکـو نهادی مـــن

۱٥. أي چــرخ سـتمگریت تـا کی
وی گـرگ شـکم دریت تــا کی

۱٦. ای کاسـه سـیاه سـفله پرور
مـیـنـا شـــکن دل هــنــرور

۱۷. ای چــرخ که در کفت أسـیرم
گــر اوردت خــدا بگـــریـم

۱۸. ریش زحـلت بـر ارم از بیخ
ببریــده نهم بکـون مـریـخ

۱۹. أنگشـــت عـطـاردت بـبـرم
عمّامـه ی مشــتریات بـدرم

۲۰. حــوت و حملت کباب سـازم
ثــورت مـزۀء شـــراب ســازم

۲۱. جوزات دهم بخورد خــرچنـگ

ناف اسـدت بخـون کـنم رنـگ

۲۲. هم زهره و زهره‌ات کنم چاك

مهرت فکنم ضـو زرّه بـرخـاك

۲۳. عمر ســـرطان تــو ســـــرآرم

دود أز دم عـقــربـت بـــــرارم

۲٤. شـیرت بکشـــم به ســمَ قـاتل

دلــوت فـکـنـم بـچــاه بـابـل

۲٥. اتش بـزنـم بـــه کهکشـانت

درهم شـکنم شـکوة و شـانت

۲٦. نه خیمه گزارمت نـه خرگـاه

پوستت بکنم چو پوست روباه

القصيدة:

١. از دســت تـطـــاول زمـــانه

كــس نيســت نخورده تازيانه

المعنى:

لا يوجد أحد لم يتلق سوطاً من يد الزمان المتطاولة الظالمة الجائرة.. أي لا يكاد يوجد أحد من المماليك والصعاليك والأمراء والوجهاء والسلاطين، لم تصبه عوادي الزمان وتقلبات الأيام، فلابد أن يجرع المرء الكأس المر من يد القدر، وكما يقول الشاعر أحمد شوقي واصفاً الأيام وتقلباتها:

شربت بكفها حلواً ومرّاً وَذُقتُ بكأسها شهداً وصاباً

ومطلع قصيدة الشاعر تنبيه للمخاطب وتسلية للنفس الحزينة. وتقول الآية الكريمة: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ * لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾{سورة الحديد/آية: ٢٢ - ٢٣}.

وأحداث الدنيا كلها عجائب، تجري الأمور والناس غافلون، وأكبر حادث في الحياة هو الموت. ولولا الموت لما كانت الحياة حياة. وكما يقول المتنبي:

ولـــو أن الحياة تبقى لحي   لعــددنا أضــلنا الشــجعانا

وإذا لــم يكن من الموت بد   فمن العجز أن تكون جباناً

وبما أن الله سبحانه وتعالى هو الخالق الحي الأزلي خلق الخلق ولم يكن للموت وجود.. فكان لابد أن يخلق الموت لمخلوقاته قبل أن يخلقهم.. فيقول عز من قائل: ﴿الَّذِي خَلَقَ المَوْتَ وَالحَيَاةَ﴾ {سورة الملك/ آية:٢} .. فنرى بأنه تم خلق الموت قبل خلق الحياة.. وفي هذا منتهى الحكمة وأقصاها فسبحان الخالق المدبر المقدر.. ونرى الشعراء قد فطنوا لهذه القضية.. وحسبوا لتقلبات الأيام وتغيرات الزمان.. وبهذا المعنى يقول أحد الشعراء:

والليالي مــن الزمـــان حبالى   مـثـقـلات يلــدن كـــل عجيب

وفي عجائب الدنيا يقول الشاعر الكبير أبي تمام في رثاء صديق له:

عجبت لصبري بعده وهو ميت   وقد كنت أبكيه دماً وهو غائب

على أنها الأيـــام قد صرن كلها   عجائب حتى ليس فيها عجائب

وكما يبدو فان شاعرنا الشيخ رضا الطالباني قد فطن لهذه الأمور وبنفس الإتجاه.. فهو يعزي نفسه بأنه ليس الوحيد الذي يتلقى ضربات الدهر وسياط الأيام، ومَن من الشعراء والفلاسفة والمفكرين والأدباء والمتنورين لم يشكوا من جور الزمان وتقلبات

الأيام وصروف الدهر. وشاعرنا أدلى بدلوه في هذا الإتجاه بأسلوبه الفذ وعبقريته.

ولابد هنا أن نذكر الشاعر الفذ العظيم المتنبي الخالد عندما كان في صحبة سيف الدولة الحمداني.. وهو أمير عربي من سلالة كريمة كان يحكم حلب وما حولها.. وله صولات في الثغور مع الروم. غير أن الوشاة عملوا الدسائس لإبعاد المتنبي عن مجلسه.. فكان أن قصد المتنبي حاكم مصر في حينه (كافور الأخشيدي).. وقد كان (كافور) هذا عبداً مملوكاً بوأته الأقدار ليكون حاكم مصر. وبطبيعة الحال فأن المتنبي مدحه بقصائد.. فأصبح الآن لدينا حالتان وهما مدح المتنبي للأمير ومدحه للعبد.. وهذا شيء عجيب..! وتناقض واضح..! غير أن عبقرية المتنبي وذكائه اللماع البارق يوضح لنا هذا التناقض الظاهر لنا.. فيقول بأن الأمراء إذا أهملوه سيمدح الصعاليك.. وبمدحه للصعاليك مسبة وإحتقار للأمراء.. فيقول في قصيدته التي يصف فيها هروبه من مصر:

وما كان شعري مدحاً له ولكنه كان هجو الورى

أي أن شعره الذي قاله في مدح كافور.. لم يكن مدحاً لكافور بل كان هجواً وذماً ومسبة لسيف الدولة.. الذي لا يليق المدح إلا له.. فإذا كان الأمراء ذوي السلالات العريقة تعجز عن الكرم فكيف يستطيع الصعاليك بالاتصاف بصفة الكرم..؟ وفي هذا يقول المتنبي:

وذاك أن الفحول البيض عاجزة   عن الجميل فكيف الخصية السود

والشاعر يحلق في آفاق الفكر ويجول في وادي (عبقر)[6] وهو دائم العتاب على الزمان وقد أبلغ المتنبي حين قال:

أريد من زمني ذا أن يبلغني   ما ليس يبلغه من نفسه الزمن

★ ★ ★

٢.   اي بيهـــده گيـــر مـــردم آزار

نـاهـى زگـنـاه وخـــود گـنهكار

المعنى: يا عديم الهدف والفائدة... ومؤذي الناس

تأتي بالمنكر والذنوب وتتهم الناس بذلك

أي أنك تتهم الناس بالجرائم وأنت تفعل الجرائم.

وبهذا المعنى يقول الشاعر العربي:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله   عار عليك إذا فعلت عظيم

★ ★ ★

---

[6] عبقر: اسم مدينة مندثرة في اليمن القديمة.. ويقال أنها كانت مسكونة بالجن.. والذاهب إليه كان يتعلم شيئاً خارقاً ويعود. ولهذا يقال لكل مبدع كبير بأنه (عبقري).. المصدر/ قاموس الاعلام باللغة التركية/ ج٤/ ص٣١١٨/ لمؤلفه شمس الدين سامي/ مطبعة مهران/ استانبول/ ١٨٩١م.

٣. خــود مجــرم وفاعــل گناهى

وز بى گنهان جــريمه خواهى

المعنى: أنت المجرم وفاعل الذنوب.. وتتهم الأبرياء بالجريمة.

والتاريخ مليء بالآلاف المؤلفة من الذين قتلوا واعدموا بذنوب لم يقترفوها.. من أصحاب الأخدود إلى أصحاب (الأنفال) في كوردستان إلى حلبجة الشهيد والغازات السامة... وموت أسر بكاملها في لحظات... و... وجرائم فرعون بذبح ذكور الولادات في مصر. وكلمة ذبح تذكرنا بمذابح فردية وجماعية هنا أو هناك.... وكنا نقرأ بأن (هولاكو) قد بنا أهرامات من جماجم من ذبحهم في بغداد... ولم نكن نتصور شكل الهرم إلا في خيالنا حتى رأينا في وسائل الإعلام صور الجماجم بالآلاف المؤلفة من عهد (پۆل پۆت) في (كمبوديا)... وفي غيرها.

والفراعنة على وجه البسيطة لم ينتهوا ولن ينتهوا... ففراعنة العصر جعلوا الفراعنة الأولى تلامذة تحت أيديهم... وقانا الله وإياكم من شرور الأشرار... وكيد الكائدين... ومكر الماكرين.. وبهذا المعنى يقول المثل الشعبي البغدادي: (يا غافلين... لكم الله).. أي يا أيها الغافلون الذين تدبر لكم المكائد.. الله يحميكم من هم.. والله سبحانه وتعالى كان يحمي عباده الصالحين من مكر الماكرين..

فيقول عز من قائل: (ويمكرون ويمكر الله، والله خير الماكرين). اللهم احمنا من مكر الماكرين. وفي هذا الإتجاه قلت في قصيدةٍ لي:

فانظر إلى حقب الزمان وصرفه

هل جاء عصرٌ ليس فيه تأزم

كثر الطغاة عبر العصور فلا ترى

إلا جراداً في السنابل يقضم

★ ★ ★

٤. آدم بـدسـيسـهء تـو اغـوا

نه حيه سـبب شـد نـه حـوّا

المعنى: انك شديد المكر والحيل والدسائس.. فإن آدم خرج من الجنة بتدبيرك لا بتدبير الشيطان.. فليست الحية هي التي أدخلت الشيطان إلى الجنة.. ولا سيدتنا حواء هي التي أغوت آدم بأكل الشجرة المحرمة، بل كل ذلك الفعل السيء قام به شخص مثلك متحايل ومكار.. أي إنك ذو مكر وخداع أكثر من الشيطان.

★ ★ ★

٥. مــن ســنگ زدم بفرق هابيل؟

أي راهنماى صــد چــو قــابيل

المعنى:

يخاطب الشاعر نفسه متسائلاً: هل إنه هو الذي رمى حجراً على رأس هابيل وقتله..؟ هل أنه فعل هذه الفعلة والجريمة..؟ ثم يضيف على ذلك بأن المخاطب في هذه القصيدة مجرم أكثر من قابيل.. فإذا كان قابيل قاتلاً لهابيل فإن هذا الشخص الذي يقصده الشاعر له من الصفات السيئة ما يجعله دليلاً لمئة شخص مثل قابيل..

★ ★ ★

٦. خــود ظـالم و أز منت شكايت

دانى به چــه مان اين حكايت

المعنى:

أنت تظلمني وتشتكي مني وكما يقول المثل العامي: (ضربني وبكا، وسبقني واشتكى).. فهل تعلم بماذا تشبه هذه الحكاية..؟ والشبه بذكره في البيت التالي:

٧. مانـد بــه حديث گرك محجوب

يوســف نـدريـده پيش يعقوب

المعنى:

إن هذا يشبه حكاية الذئب الوهمي الذي ليس له وجود.. وهو الذئب الذي ادعى اخوة يوسف بأنه أكل أخاهم يوسف.. ولكن سيدنا يعقوب لم ير هذا الحادث الذي اتهم به الذئب ولم يتم تمزيق جسد يوسف من قبل الذئب.. بل كان خيالاً في خيال.. أي أن الادعاءات التي أدعيتها كذب في كذب والتهم باطلة.. كما كانت التهمة ملقاة على الذئب الوهمي.



٨. يحياى نبى ذبيح من بود؟

آنهم عمل قبيح من بود؟

يعود الشاعر للمخاطبة والتساؤل عن الجريمة التي اقترفها ليجور عليه الزمان فيتساءل: هل أنا الذي قتلت النبي يحيى وعملت هذا العمل القبيح..! والمعلوم أن النبي يحيى سجنه حاكم فلسطين (هيرودوت) وقامت الراقصة الغانية (سالوبي) اليهودية بدسيسة من أمها بطلب رأس يوحنا المعمدان وهو النبي يحيى في بعض الروايات. فجيء برأسه بعد ذبحه.. فوهوت القصور التي كانوا فيها.. ودمرت باعصار شديد.



٩.	مــن پــاى خليل را ببســـتم؟

دنــدان حــبيب را شــكســتم؟

المعنى: ويكرر السؤال عن نفسه وعن الجرائم التي اقترفها لكي يستحق هذا الحظ السيء في حياته فيقول: هل أنا الذي شددت وثائق رجل سيدنا اسماعيل عليه السلام عندما نوى أبوه سيدنا النبي إبراهيم عليه السلام ذبحه حسبما رآه في رؤياه.

وكذلك يضيف الشاعر بأنه هل كان هو السبب في كسر سن من أسنان النبي الكريم.. حيث كسرت إحدى أسنانه الشريفة في إحدى المعارك.. فهذه جرائم كبيرة في التاريخ.. يقول الشاعر بأنه لم يفعل أي واحدة منها.. فما هو السبب ليلاقي كل هذا العذاب في حياته.. ثم يتناول في البيت التالي جرائم تاريخية شهيرة مصعداً الدراما والحدث والخطاب فيتطرق إليها قائلاً:

★ ★ ★

١٠	مــن دســت يزيد را كشاندم؟

بــر مســند عرّتش نشـــاندم؟

المعنى: هل أنا الذي نصبت (يزيد بن معاوية) أميراً للمؤمنين في الشام حاضرة الدولة الأموية وأخذته لأجلسه على العرش وأرفع من مكانته وأعطيه كرسي الحكم وصولجان الملوك..؟

ومن المعلوم أن يزيد هذا هو الذي أمر بقتل الإمام الحسين بن علي رضي الله عنه. وتم ذبحه وجيء برأسه الشريف من كربلاء إلى الشام وألقي به في مجلس يزيد الذي كان يشرب الخمر.. ويذكر بعض المؤرخين لأنه حرك عصاً في يده وقلب الرأس الشريف.. فقال له أحد الصحابة الذي كان حاضراً في مجلسه:

سألتك بالله أن لا تفعل هذا فأنني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل هذه العيون التي حركتها بعصاك..! ويقال بأن يزيد قال:

(لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل).. ويقال أيضاً بأنه في هذه الأثناء نعق غراب على الشجر.. فنظر يزيد إلى الغراب وقال: (أنعقت أم لم تنعق يا غراب البين.. فإني أخذت من النبي ديوني)..

ومن المعلوم أن يزيد بن معاوية كان من كبار الشعراء في الغزل. وأما عن موته فيقال انه تبع غزالاً في الصيد فنزل الوادي واختفى. ويتساءل الشاعر الشيخ رضا هل انه فعل أفعالاً مثلما فعله يزيد لكي يكون حظه السيء إلى هذه الدرجة.

★ ★ ★

١١. مــن كشــتم امـام مجتبى را؟

مــن بــردم اســير كربـلا را؟

المعنى: ويكرر الشاعر عتابه وتساؤلاته عن جور الزمان فيتساءل: هل هو الذي قتل الإمام المجتبى.. وهل هو الذي أخذ آل البيت الكرام أسرى لديه في كربلاء وهي حوادث مشهورة لا داعي لتكرارها.

★ ★ ★

١٢. مــن جـامه و كعبه را دريدم

دم خــر ويس مـــن بريـدم؟

يستمر الشاعر تصعيد اللهجة الدرامية فيقول:

هل أنا الذي مزقت ستار الكعبة.. ومن المعلوم إن القرامطة هجموا على الكعبة ومزقوا ستارها وأخذوا الحجر الأسود الذي بقى عندهم سنوات ثم أعادوه..

ثم يتسائل هل هو الذي قطع ذيل حمار ويس وويس هذا صحابي لكنه لم ير النبي محمد صلى الله عليه وسلم وهو ويس القرني.. وكان كلما يأتي لرؤيته لا يجده.. وقال عنه النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ان ويس القرني سيراني في الجنة.

★ ★ ★

١٣. نگســـته رگـی نخســته جـانی

ســنگی نــزده بــر اســتخوانی

المعنى: لم اقطع الجذور ولم ازهق الأرواح ولم اكسر العظام بالحجر. وذلك لكي أستحق كل هذا الإهمال والحظ السيء في الحياة.. وكأنها عقوبة..!

★ ★ ★

١٤. اى باعـــث نامـــرادى مـــن

شـــرمى ز نكـو نهادى مـــن

المعنى: يا من تسببت في عدم تحقيق آمالي وكنت باعثاً لإخفاقي ألم تستح من ذلك، المتخجل منه.

وهنا ينتهي المقطع الأول من القصيدة رغم انها غير مقطعة أصلاً.. إلا انه هنا تنتهي فكرة ويبني عليها الشاعر بقية قصيدته.. فها هو قد وضع الأسس الرئيسية لمأساته، فما الحل.. وإلى أين يتجه..؟ لقد انتهى من العتاب واللوم والنقد والتقريع.. والآن سيدخل المعركة ليدمر الأسباب التي أدت إلى هذا الوضع.. كيف لا وهو الشاعر الموهوب ذو الفكر المحلق الخلاق.. فلننظر..

★ ★ ★

١٥. أي چــرخ ســتمگريت تـا كى

وى گــرگ شكم دريت تــا كى

المعنى: أيها الدهر.. إلى متى هذا الظلم منك.. أيها الدهر.. يا من له صفة الذئاب إلى متى تمزق حظي وحلمي..

ونرى هنا بأن الشاعر قد بدأ يفيق.. وينتبه للمظالم الكثيرة التي لحقت به.. ويستعد للغضب والثورة.. وبطبيعة الحال فان ما يولد الثورة في كل زمان ومكان هو (الظلم والشعور بالظلم ورفض ذلك الظلم بطريقة أو بأخرى)..



١٦. اى كاســه ســياه سـفله پرور

مــيــنــا شـــكن دل هــنــرور

المعنى: يا من تسقي الشراب بكأس أسود.. ويا من تتصف بعدم الوفاء.. أي أنك تجرع الناس مُرَّ الكأس وتغدر بهم وتحطم قلوب الفنانين الموهوبين.. وتجعل قلوبهم مكسورة وهي تشبه الدر الصافي.

أي إنك عديم الوفاء وليس لك ذمة وعهد.. وأنت معجب بالسفلة والجهلة وتحطم قلوب الموهوبين والمبدعين.

★ ★ ★

١٧.   اى چـرخ كه در كفت أسـيرم

گــر اوردت خــدا بگــريـم

المعنى: بما أن الشاعر لا حول له ولا قوة.. فها هو يستعين بخياله ليصول ويجول.. فيقول: أيها الدهر.. رغم أنني أسير في يديك.. إلا أنه إذا مكنني الله منك..!!

فماذا سيفعل يا ترى..؟! والجواب في الأبيات التالية:

★ ★ ★

١٨.   ريش زحـلت بـر ارم از بيخ

ببريــده نهم بكــون مـريـخ

المعنى: مقدمة: ايها الدهر بما أن الحوادث من تلك الأبراج فأنه سيأتي عليها واحداً بعد الآخر ليلعنها ويسبها وينتقم منها.. وها هو يبدأ بكوكب (زحل) وكوكب (مريخ) فيقول: انه سيقلع لحية من جذورها ويحشرها في نقب المريخ.. ومن المعلوم ان كوكب زحل له حلقات.. وشبهها الشاعر باللحية..والمريخ كوكب ساطع.. فهو يقطع لحية (زحل) ليضعها في دبر (المريخ).. وها قد زالت حجب الخجل والخوف من تلك الطوالع المجهولة.. فبدأ الهجوم المقابل..

ويجب أن يجد لكل كوكب أو برج صفة تليق به.. متوائمة مع ما هو متواتر عنه.. فقد رسم الأقدمون الأبراج الإثنى عشر على هيئة صور كما رسم الرومان واليونان آلهاتهم على شكل تماثيل.. ولننظر ماذا حل بالكواكب والأبراج الأخرى..

★ ★ ★

١٩. أنگشــــت عـطــاردت بــبــرم

عمّامـــه و مشـــتريات بـدرم

المعنى: سأقطع أصبع (عطارد).. وسأمزق عمامة المشتري.. وعطارد هو أقرب الكواكب إلى الشمس.. والمشتري هو أكبر الكواكب.. إذن هو سيدهم.. والسيد في القوم يضع العمامة على رأسه.. والبيت الشهير للحجاج بن يوسف الثقفي عندما قال:

أنا إبن جلا وطلاع الثنايا   متى أضع العمامة تعرفوني

إذن سأهينك وأمزق هذه العمامة التي تسودت بها على القوم.. فيا أيها المشتري.. يا كبير الكواكب المسلطة على طوالع البشر من خيرها وشرها.. من سعدها ونحسها.. سأمزق عمامتك هذه.

★ ★ ★

٢٠. حــوت و حملت كباب ســازم

ثــورت مـزةء شـــراب ســازم

المعنى: من المعلوم ان (الحوت) و (الحمل) اسمان لبرجين من الأبراج الأثني عشر.. قد انتقم منه في خياله بان جعلهما لحماً مشوياً للأكل.. والحوت.. هو السمكة.

والحمل.. هو الخروف قبل بلوغه سنة واحدة.

إذاً سيجعل من الحوت والحمل لحماً مشويا وكباباً لذيذاً..

وماذا سيفعل بـ(الثور).. سيجعلها (مزة) مع الشراب ومن المعلوم أن شاربي الخمر يضعون قطع اللحم المشوي أو المقلي مساعداً لهم في شرب الخمر وملازماً لهذا الشراب..وها قد قطعهم جميعاً وأكل لحومهم..

وفي علم النفس فإن الإنسان الذي يشعر بالظلم ولا حول له ولا قوة مع المسبب فإنه ينتقم من الظالم في خياله.. سواء بقتله أو ضربه أو تخيله له باسوأ العواقب.. ويتم هذا كله بتصور ذهني تام.. ويتجلى ذلك في حالة شاعرنا بكل وضوح.

ولنأتي على البيت الذي بعده:-

★ ★ ★

٢١. جوزات دهم بخورد خـرچنـگ

ناف اسـدت بخـون كـنم رنـگ

المعنى: سأطعم (الجوزاء) لـ(السرطان). أي جعل القتال بين الأبراج ذاتها فجعل برجاً يأكل برجاً، وربما غلبت كلمة (الجوز) في كلمة (الجوزاء) ليجعلها طعماً لسرطان البحر. علماً بأن (السرطان) هو برج من الأبراج ويأتي عليه بعدما يطعمه الجوزاء.. حيث نرى بأنه في البيت (٢٣) قد ذبحه وأكله.

★ ★ ★

٢٢. هم زهره و زهرهات كنم چاك

مهرت فكنم ضـو زرَه بـرخـاك

المعنى: وأنت أيتها (الزهرة): ها قد عاد إلى الكواكب.. فهو ينتقل من برج إلى الكوكب ومن كوكب إلى البرج.. يخاطب كوكب الزهرة قائلاً:

أيتها الزهرة.. سأجرعك (الزهر) أي السم وسأجعل من بهائك سحقاً مسحوقاً كذرات التراب.

★ ★ ★

٢٣. عمر سـرطان تـو سـرآرم

دود أز دم عقـربت بـرارم

المعنى: لقد عاد الشاعر مرة أخرى إلى الأبراج. فتناول برج السرطان ليقول بأن السرطان عمره قصير وسيقتله.. أما برج العقرب.. فهو سيضع الدخان في فمه.. ومن المعلوم أن الثقوب في الأرض التي تحتوي العقارب يمكن إخراجها بتوجيه الدخان إلى الثقب حيث لا يطيق العقرب تحمل الدخان.. فهو سيملأ فم العقرب بالدخان. ويقتلها بالسلاح الذي تكرهه جداً.

★ ★ ★

٢٤. شيرت بكشم به سمّ قاتل

دلـوت فكنم بچـاه بابـل

المعنى: سأقضي على (أسد)ك بسم قاتل..

وأهرق دم (الدلو) وأسكبه في بئر عميق في بابل..

وهنا نرى بأن برج (الدلو) قد أهرقها في بئر ببابل..؟!

حيث نجد أن كلمة (دلو) إسم لأحد الأبراج.. وفي الوقت ذاته فإن كلمة (دلو) في اللغة العربية تعني (السطل) التي تنزل بحبل في بئر ليخرج بها الماء..

وقد جاءت كلمة (دلو) في (سورة يوسف/ الآية: ١٩): ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ﴾، والوارد هو الذي يرد الماء ليستقي منه.. وهي اسم الفاعل لكلمة (وَرَدَ).. فالذهاب الى مصدر الماء هو الورود والعودة منه هو الصدور.

هذا.. ولم استطعت مقاومة اغراء شعر جاهلي لتدوينه هنا وهو لصاحب المعلقة/ عمرو بن كلثوم التغلبي.. حيث يقول:

أبا هند فلا تعجل علينا وأنظرنا نخبـــرك اليقينا[٧]

بأنا نورد الرايات بيضاً ونصدرهن حمراً قد روينا

فهنا شبه أرض المعركة بالبئر الذي يستقى منه.. ولكن ليس بالماء.. بل بالدماء.. فهو يذهب إلى المعركة برايات بيضاء.. ويعود وقد انتصر وتلونت راياته البيضاء بدماء عدوه.. فهي حمراء. إذاً فهو (يرد) المعركة برايات بيض و (يصدر) من المعركة وقد صارت الرايات حمراً.

كذلك نورد قول المتنبي في وصف الأسد حيث كلمة (ورد) إسم من أسماء الأسد حيث يقول:

ورد إذا ورد البحيرة شارباً ورد الفرات زئيره والنيلا

---

[٧] معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي/ جوهر الأدب/ ج٢/ ص٦٢/ الأستاذ السيد أحمد الهاشمي/ المكتبة التجارية/ القاهرة/ ١٩٦٥م.

وفي هذا يقول المثل العربي لشخص يعطي رأياً في مناقشة عن موضوع قائلين: ولقد أدلى بدلوه.. أي أبدى رأيه..

وكلمات مثل (الدلو).. (دلو).. (السطل).. وكلمة (دولك) الكوردية كلها تختص بالماء.. إذاً لا بد من سكب هذا الماء الذي هو (برج).. وأين يسكب ذلك ﴿(الماء).. (البرج).. (الدلو)﴾..؟ انه يسكبه في بئر عميقة غائرة..!!

وعذراً للقارئ إذا ذهبت بعيداً عن محور الموضوع.. لكن الترف الفكري كان مغرياً.. ولولا خوف الإطالة والملل لذهبت أبعد بكثير..!

بقي أن ندقق في كلمة (بابل): ولماذا اختار الشاعر موقع البئر الذي سيصب فيه (الدلو) في بابل..؟ فمن المعلوم أن الجنائن المعلقة كانت في بابل وهي إحدى عجائب الدنيا السبع.. وكان الماء يجرى (بطريقة ما) إلى الطابق السابع من الجنائن.. معنى ذلك إنه كانت توجد مجموعة هائلة من الآبار وشبكة واسعة من السواقي والآلات مما لم يكن موجوداً في أي مكان في العالم في ذلك الوقت..

إذاً فمنطقة بابل المليئة بالآبار والسواقي هي خير مكان ليسكب فيها ماء (الدلو) ليضيع ذلك الماء في متاهات السواقي والآبار.

أما كلمة (چاه) لغة فإنها تعني: الأرض العميقة أو ما تحت الأرض[٨].

---

[٨] انظر قاموس الأختري (القاموس التركي)، ج١/ ص٥٠٥/ شمس الدين سامي/ مطبعة إقدام/ تركيا/ سنة ١٣١٧هـ.

٢٥. اتش بـزنـم بـــه كهكشـانت

درهم شـكنم شـكوة و شـانت

المعنى: سأشعل النار في درب التبانة وهي الجرة المعروفة، وتسمى باللغة الكوردية (كاكيْش). وقد استغل الشاعر وجود وإلتصاق كلمة (التبن) المستعمل للحرق والنار.. والحقول المحصودة يبقى فيه التبن اليابس وهو سريع الاشتعال.. لذا فهو سيشعل هذه المجرة المسماة درب التبانة والحاوية على الأبراج جميعها.. وهذه قمة الدراما.. ثم يقول بأنه سيزيل رفعة وشأن هذه المجرة الحاوية على الأبراج.

★ ★ ★

٢٦. نه خيمه گزارمت نـه خرگـاه

پوستت بكنم چو پوست روباه

المعنى: هذا هو البيت الأخير من القصيدة وكما يبدو فأنه يقول:
سأمزق خيمتك وأيوانك.... وسأسلخ جلدك كما يسلخ جلد الثعلب..
الآن وقد انتهت القصيدة.. رأينا قصة متكاملة الأركان تبدأ بالمقدمة وبعد شرح الحال ثم التحضير للتصعيد بسرد الحال ثم صعوداً بالدراما إلى أوجها ثم الخاتمة برفض عطايا هذا الشخص الذي كما يبدو لم يلبى طلبه فانزعج الشاعر.. ويا ليته قد أزعجه عدة مرات ليخرج لنا الدرر. وكما اللؤلؤة تخرج من المحار وكلما تعذبت المحارات أخرجت لآلئ أبهى وأكبر.. لذا ففي المصانع الإصطناعية لصناعة اللؤلؤ يستفزون

المحار بالكهرباء ليخرج لآلئ أجمل.. ولكن لنقوم بإحصاء ما عدده الشاعر في الصفحة التالية:

لقد ذكر الشاعر عدداً من الأبراج والكواكب وجعل منها عقوبة وسنذكر هنا جميعها مع عقوبتها:

الكـواكـب والأبــراج

١.	زحل	- قلع لحيته	+ كوكب ١
٢.	مريخ	- وضع في دبره لحية زحل	+ كوكب ٢
٣.	عطارد	- قطع أصبعه	+ كوكب ٣
٤.	المشتري	- مزق عمامته	+ كوكب ٤
٥.	حوت	- جعله شواء لأكله	من الأبراج ١
٦.	حمل	- جعل لحمه كباباً	من الأبراج ٢
٧.	الثور	- جعله مزة لشرابه	من الأبراج ٣
٨.	الجوزاء	- جعله طعاماً للسرطان	من الأبراج ٤
٩.	الأسد	- مزق جسده وسال دمه لقدمه	من الأبراج ٥
١٠.	الزهرة	- سقاه السم	+ من الأبراج ٦
١١.	السرطان	- ذبحه وقتله	من الأبر
١٢.	العقرب	- ملء فمه بالدخان	من الأبراج ٨
١٣.	الدلو	- أراق دمه وسال على النهر	من الأبراج ٩
١٤.	درب التبانة	- أشعل فيها الحريق	من الأبر

(١ – ٤): الأشهر منها – الباقي (٧) كواكب لم يذكرها بل ذكر الأشهر منها

(٥ – ١٤): المجموع (٨) أبراج + (٤) مذكورة في الأسفل = ١٢ برج

والملاحظ أنه لم يتطرق إلى برج العذراء.. وحتماً لو تطرق إليه لدخل بها.. ولزفوها له وأصبحت عروسته..!

وكذلك لم يتطرق لبرج الميزان.. وحتماً لو تطرق إليه لكال به الحق والباطل.. وكذلك نسى برج القوس وحتماً لو ذكره لرمى به سهماً.. ليشق به فؤاد من يشاء..

وبهذا تكتمل البروج الإثنى عشر.. ونحن قد تمتعنا بهذه الجولة الفكرية الشيقة.. فعسى أن نكون قد أسدينا خدمة للتراث الكوردي.. والثقافة الأدبية الرصينة.. وتجولنا قليلاً في التراث الأدبي والفكري الفارسي والعربي.. حيث أن الأدب والفكر الكوردي تأثر بشكل حاد بالموروث من الآداب العربية والفارسية والتركية.. وتفاعل مع جميعها بحكم ان تلك القوميات التي كانت لها امبراطوريات ودول فيما بعد كانت تتحكم في كوردستان.. لذا فلا يمكن الفكاك من هذا المزج الفكري التاريخي.. انه لمن دواعي التفاؤل والسرور بأن الأمة الكوردية احتفظت بشكل عميق الجذور بأصالته الفكرية وخصوصيته اللغوية والتعبيرية مقاوماً جنباً إلى جنب مقاومة الأحكام الظالمة الجائرة في عواصم تلك الدول.. وضحى تضحيات صارت دماؤها مداداً من ذهب عندما يكتب بالتاريخ المشرق والمشرف.. وما المرحلة التي تمر بها كوردستان العراق إلا باكورة مستقبل مشرق وزاهر وعظيم متوازٍ ومنسجم

مع عمق نضاله وتضحياته وجهد أبنائه حتى تشرق شمس حضارة خالدة إنسانية والتي هي في الطريق..

وكنت قد تنبأت في إحدى مقطوعاتي الشعرية في أواخر الثمانينات بمخاض هذه الأمة وما ينتظرها.. فقلت كلمات هي رموز لأخفي ما أريد في ذلك الزمن الصعب.. فقلت:

ستنجب الأميرة..

وليدها الموعود..

وتفرح العشيرة..

بمقدم المولود..

سوف يأتي على البراق..

وينثر الأقمار في الآفاق..

لكنها والله..

ولادة عسيرة..

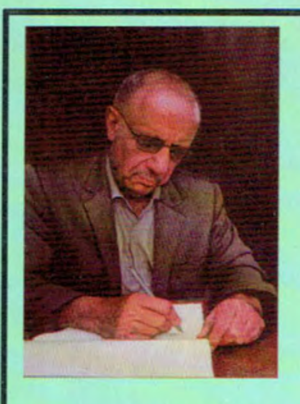
في الساعة الأخيرة..

* * *

ومن الواضح أن الأميرة هي الأمة الكوردية.. والعشيرة هي أبنائها.. والمولود هي حالة التحرر.. أما البراق.. والأقمار.. والآفاق.. فهي كلمات تدل على ما سيكون عليه أبناء الأمة الكوردية من إبداع وجمال وذكاء.. وبناء للإنسان الكوردي المتعب نفسياً وفكرياً قبل البناء المادي.. أما عبارة (الولادة العسيرة) هي للمؤامرات التي ستحاك ضد طموحات الشعب الكوردي.. و (الساعة الأخيرة) فهي اللحظات الحرجة والحاسمة التي احتاجت إلى قرار من القيادات الكوردية في خضم الأحداث الدولية والتحالفات وتشابك المصالح وغيرها.

وبهذا نتمنى للقراء الأعزاء أن يكونوا قد قضوا أوقاتاً طيبة مع جماليات الشعر وإبداعات واحد من الشعراء الكورد وما أكثر المبدعين فيهم..

* * *



المؤلف في سطور :

١- ولد سنة ١٩٤٨ في قلعة أربيل.

٢- تلقى علومه الأولية في كنف والده القاضي رشاد المفتي وفي أروقة العلم في الجامع الكبير في القلعة وضمن مدرستهم الدينية العلمية العريقة و بتسلسل (١٧) عالماً ولخمسة قرون خلت، وتحدث عنهم الرحالة والمؤرخون، (١).

٣- له إهتمامات و دراسات و بحوث في التصوف والفلسفة والتاريخ والنقد الأدبي والدراسات المقارنة و الترجمة والشعر.

٤- من مؤلفاته المطبوعة :

- عالم الغيب والشهادة / طبعة ثانية/ الدار العربية للموسعات / بيروت / ٢٠١٣.
- أوراق من فكر الشاعر الشيخ رضا الطالباني / طبعة ثانية .
- رسالة الى المتنبي / طبعة ثانية .
- صدى السنين / مذكرات شخصية
- أنوار كاشفة.
- بريد النور / شعر في التصوف .
- المئات من المقالات و القصائد نشرت في الاصدارات المحلية ووثقت في المؤسسات التراثية والأدبية العراقية .

٥- له العشرات من المؤلفات ستأخذ طريقها الى النشر تباعاً.

---

(١) أنظر الموسوعة الكبرى لمشاهير الكرد عبر التاريخ /ج٦ / للدكتور محمد علي الصويركي / من منشورات الدار العربية للموسوعات / بيروت / ٢٠٠٩ .
و(موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين)-(ج٢-ص١٤)و(ج٢-ص٨٣) حميد المطبعي – دار الشؤون الثقافية العامة / بغداد – ١٩٩٥ .
وكتاب (علماء ومدارس في أربيل) زبير بلال إسماعيل / أربيل ١٩٨١ ،
و كتاب (علماؤنا في خدمة الدين و العلم) للعلامة عبدالكريم المدرس .
وموقع (تاريخ العراق الشفاهي – عثمان رشاد محمد المفتي) .

مطبعة منارة - أربيل